فعل (أَمَرَ) في القرآن الكريم دراسة تحليلية

م. كرم وليد عبد صالح *

تأريخ التقديم: ٢٠١٣/٧/٢٤ تأريخ القبول: ٢٠١٣/٩/١٦

آيات ميدان البحث:

أولاً- قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (سورة البقرة، الآية: ٢٧) ، ثم يأتي ردفها قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾ (سورة الرعد، الآية: ٢٥).

ثانياً- قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ (سورة النساء،الآية:١١٤).

ثالثاً- قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (سورة الأعراف،الآية: ٢٩).

رابعاً- قوله تعالى: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (سورة يوسف، الآية: ٤٠).

خامساً- قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ ﴾ (سورة الرعد، الآية: ٢١).

سادساً- قوله تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ ﴾ (سورة العلق، الآية: ١٢).

* قسم علوم القران و التربية الإسلامية / كلية التربية/ جامعة الموصل.

توطئة:

إن القرآن الكريم يشتمل على ثروة لغوية هائلة حتى عُدّ معجما لتراكيب اللغة تحيط بألفاظها هالة من الدلالات التي يكشفها السياق ذات السبك المتين المحكم، وهذا ما نجده في دلالة (أَمَرَ) بفتح (الألف، والميم، والراء) في سياقاته التي وردت في السور الآتية:البقرة : ٢٧، والنساء: ١١٤، والأعراف: ٢٩ ويوسف: ٤٠، والرعد: ٢٠-٢٥ والعلق: ١٢ . فنلاحظ دقة التعبير القرآني في الوقوف على وظيفة (أَمَرَ) في هذه السور،أما المنهج المتبع في الوقوف على دلالة الفعل _أمر_ فهو المنهج التحليلي، للكشف عن القيم الفنية التي ستظهر من خلال البحث، ولفظة (أَمَرَ) ذات جرس مفعم بإثارة السامع والاستجابة لأمر الله، فضلاً عن إيقاعها وجمالها في إثارة المتلقي وتحريك مشاعره من خلال إحداث المفاجأة المطلوبة داخل النص بإعجازه وفصاحته. ولم أتطرق إلى دلالة (أَمْر) بفتح الألف، وإسكان الميم، لكثرة ورودها في السياق القرآني، إذ بلغ عدد آياتها (٨٣) خوفاً من توسع البحث وإطالته.

دلالة (أَمَرَ) في اللغة:

قال الفراهيدي: الأمر من أمر يأمر يقال اتقِ الله لك الأَمَرةُ أي البركة، وامرأة أمرة بمعنى مباركة على زوجها، وأمر الشيء أي: كثر وألامَّرُ: الضعيف من الرجال [١]. ودلالة الأسلوب تؤثر في السامع أو المتلقي أو عند قولك للقائل لمن دونه على سبيل – الأمر – إفعل[٢]،فهو تعبير صحيح يمثل خطاب الأعلى ألا وهو الله سبحانه إلى لفت النظر وتبصر النفس في التأمل والتدبر الذي يجري فيه الخطاب من الأعلى وإذا أمرت من أمر قلت: مُرْ، وبين الأمارة والإمارة والجمع

(١) **ينظر: العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي، ط٢- دار إحياء التراث العربي (بيروت: ٢٠٠٥)**: ٣٨.

(٢)التعريفات، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني والمعروف بالسيد الشريف- دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد: ١٩٨٦): ٢٦.

أُمراء، وآمَرَهُ في أمرِه وستأمره أي شاوره[١].واتمرت ما أمرتني به أي امتثلت، وأمرته فأتمر، وأبى أن يأتمر بمعنى استبد ولم يمتثل[٢]،

قال دريد بن الصمة: [٣]

أَمَرْتُهُمُ أَمْري بمنعرج اللَّـوى فلم يَسْتَبِينُوا النصحَ إلا ضحى الغدِ

عبر الشاعر عن نصح قومه وإرشادهم إلى الخير إلا انهم لم يمتثلوا له.

والراجح في– أمر– أن الله تعالى أمرهم عن طريق نبيه (ﷺ) بأسلوب يسحر القلوب ويحرك الفكر والنظر إلى خطاب الله تعالى والامتثال لأوامره واجتناب معاصيه.

دلالة (أمر) في الاصطلاح:

هو طلب الفعل على جهة العلو أو الاستعلاء، وبه سمي القصد والطلب لما فيه من أثر للشأن[٤]. بيد أن مفهوم الأسلوب وجماليته وشموليته هو الذي طلب حصول الفعل على وجهه (الاستعلاء) الذي هو طلب من الأعلى إلى الأدنى. أما لفظ (الالتزام) فهو أن يكون الأدنى ملزما بتنفيذ طلب الأعلى[٥]. كقوله تعالى:﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [٦]. والدلالة الفنية لهذا الأسلوب الدقيق على ما سبق هو تأكيد دور السياق في تحديد المعنى الذي يدل عليه.

---

(١) ينظر: لسان العرب المحيط، ابن منظور – قدم له : عبد الله العلايلي، اعداد: يوسف خياط– دار اللسان العربي (بيروت: د.ت): ٩٦/١ مادة (أَمَرَ).

(٢) ينظر: أساس البلاغة، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري بتحقيق الأستاذ: عبد الرحيم محمود، عرف به: الأستاذ الكبير أمين الخولي – دار المعرفة (بيروت: ١٩٧٩): ٩.

(٣) ديوان دريد بن الصمة الجشمي، قدم له الدكتور شاكر فحام، جمع وتحقيق وشرح: محمد خير البقاعي (دار قتيبة: ١٩٨١): ٤٧.

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، أبو السعود محمد بن محمد العمادي الحنفي، تحقيق:خالد عبد الغني محفوظ– ط١– دار الكتب العلمية (بيروت:٢٠١٠): ١٠٣/١.

(٥) ينظر: علم المعاني، د. قصي سالم علوان (جامعة البصرة: ١٩٨٥): ٨٨/١.

(٦) سورة هود، آية: ٣٧.

وبصياغة أخرى فإن المتلقي ذو إدراك حسي بالأسلوب الإرشادي الذي يتم عن طريق حصول صيغ مخصوصة في ذهنه من أقوال وأفعال توافق الشريعة من جهة، ورضا الله تعالى من جهة أخرى.

دلالة (أَمَرَ) في القرآن الكريم:

إن الله تعالى كوّن الأشياء كلها بالأمر بقوله : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [1]، فأمره في السماء والأرض، والأشياء كلها[2]. كقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [3]. وقد استخدم القرآن الكريم لفظ (أَمَرَ) بمعان عدة ، وكما يأتي:

المبحث الأول: حق الميثاق والعهد:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [4].

فالآية الكريمة مدنية يسودها طابع التشريع وخصائص الأحكام ووقعها ومعانيها في نفس المتلقي أو السامع لتضع أسس المجتمع وقواعده الثابتة.. إذ نجد أن التعبير القرآني يصور لنا عنصرا مألوفاً بين الناس ذا شخصية محورية في هذه الآية الكريمة ألا وهي صفة المنافقين الذين ذكرهم الله سبحانه في عدة آيات كريمات تفضحهم وتكشف دخليتهم، وتقرر ما هم عليه[5]. ونلاحظ ونلاحظ ان الأسلوب القرآني ينص على إخبار من الله سبحانه على قوم مذبذبين بين – المؤمنين

(١) سورة الأعراف، آية: ٥٤.

(٢) ينظر: كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، للشيخ أبي حاتم بن حمدان الرازي، عرضه باصوله وعلق عليه: حسين بن فيض الله الهمداني اليعبري الحرازي – ط١– مركز الدراسات والبحوث اليمني (صنعاء: ١٩٩٤): ١٢٩/٢.

(٣) سورة يس، آية: ٨٢.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٧.

(٥) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الاثير، شرحه وعلق عليه: د. احمد الحوفي٠ود ٠بدوي الحوفي٠ود ٠بدوي طبانة – ط٢– دار الرفاعي (الرياض: ١٩٨٣): ١٩٢/٢.

والكافرين – بالرغم من تنوع الجمل الفعلية بأفعالها المضارعة في (ينقضون، ويقطعون، ويوصلون، ويفسدون) التي تعطي لدلالة – أَمَرَ – الاستمرار والديمومة وهذا النمط ((إنما يقصد إليه تعظيماً لحال من أجرى عليه الفعل المستقبل، وتفخيماً لأمره)) [١]. فالسياق يدل على أن الله تعالى ذم كلَّ فاسق ينقض العهد ويقطع ما أمر الله به أن يوصل والاعتراف بنعمة التصديق لأنبيائه ورسله[٢]، وجيء السياق بدلالة – أَمَرَ – هادياً إلى اختيار الفضيلة والابتعاد عن الأخلاق الذميمة التي تُرى عن طريق تصرفات مناقضة للدين والشريعة الإسلامية والتي يستحق عليها العذاب وسوء العقاب في الآخرة.

ولفظ – أَمَرَ – جاء بصيغة مطلقة في الآية الكريمة التي تدل على معانٍ عدة منها :

أولاً– الاعتراف بنعمة التصديق لأنبيائه ورسله، فأمِروا أن يوصل بالعمل وقطعوا بينهما وقالوا لم نعمل فجمعوا بين التصديق مرة والتكذيب مرة أخرى[٣].

ثانياً– أن لفظ (أَمَرَ) يفيد ما يوجب من صلة الرحم والقرابة التي كانت بين النبي (ﷺ) وكفار قريش ومن شابههم[٤]، فلما بعث النبي (ﷺ) قطعته، فقال: صلوني كما كنتم تفعلون.

ثالثاً– نلحظ في مادة – أَمَرَ – وأسلوبها العذب المتدفق من الإيمان والالتزام بالشرائع وعدم نقض الإيمان بالكفر[٥].

نستشف من هذه الأقوال معرفة البنية العميقة في استعمال (أَمَرَ) وجمال الأسلوب يدل على استدعاء أمرٍ محبوب ألا وهو الإيمان بالله تعالى واتباع رسله، وبالأخص النبي (ﷺ) وما انزل عليه مِنْ الذكر الحكيم. وعلى قمتها قضية التوحيد. فالنص الكريم ابتدأ بكلام مستأنف بقوله ﴿**الَّذِينَ**

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ١٠٣/١.

(٢) ينظر: البحر المحيط: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الغرناطي الشهير بأبي حيان الأندلسي، دراسة وتعليق وتحقيق: عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، شارك في تحقيق: د. زكريا عبد الموجود النوتي، ود. احمد الجمل: قرظة، أ.د. عبد الحي الفرماوي – ط١– دار الكتب العلمية (بيروت: ٢٠٠١: ٢٧١/١.

(٣) البحر المحيط: ٢٧٤/١.

(٤) ينظر: الدر المنثور في تفسير الماثور، الإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي–ط١– دار الفكر (القاهرة: ١٩٨٣): ٤٢/١.

(٥) ينظر: البحر المحيط: ٢٧٤/١.

يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ أي ما أخذه الله سبحانه على النبيين ومن اتبعهم؛ الإيمان بما جاء به النبي (ﷺ) وهذا هو – العهد – الذي اخذ على كل من اتبع الأنبياء (عليهم السلام)، فضلاً عن اسم الموصول (الذي) يدل دلالة واضحة على صفة المنافقين الذين كانوا سبباً في نزول النص الكريم فيهم[١]. إذ جمعت دلالة – أَمَرَ – عدة تراكيب مؤثرة من خلال النص وجمالية الاستعارة ودلالتها اللغوية في السياق فضلا عن التركيب اللفظي لهاتين الكلمتين أحدهما: (ينقضون) وقد جاء في اللغة ((نقض العهد، وناقض قوله الثاني الأول وفي كلامه تناقض)) [٢]، والمراد بهؤلاء الناقضين من المنافقين الذين خرجوا عن دين الإسلام أو أحبار اليهود الذين كتموا العلم... من هنا أخذ الله تعالى عليهم العهد ألا يبغي بعضهم على بعض. ورأى الماتريدي أن عهد الله يكون على نوعين:الأول: عهد خِلْقةٍ؛ لما يشهد خلْقه كُلُ احد على وحدانية الرب كقوله تعالى ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[٣].الثاني: عهد رسالة على ألسنة الأنبياء والرسل – عليهم السلام– كقوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [٤]. فنقضوا العهدين جميعاً[٥].أما لفظ (يقطعون) فتقطعوا بمعنى: تفرقوا[٦] بقطع السبيل عن موالاة المؤمنين أو قطعهم ما بين الأنبياء من الوصلة والاجتماع على الحق في إيمانهم ببعض وكفرهم ببعض[٧].

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أو تفسير الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ضبط وتعليق: محمود شاكر – ط١– دار إحياء التراث (بيروت: ٢٠٠١): ٤١٦/١،ومعاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن سري المعروف بالزجاج، شرح وتحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، اخرج أحاديثه: علي جمال الدين محمد – دار الحديث (القاهرة: ٢٠٠٤): ٩٩/١.

(٢) أساس البلاغة: ٤٧.

(٣) سورة الذاريات، آية: ٢١.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٥) تأويلات أهل السنة، تفسير الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم – ط١– دار الكتب العلمية (بيروت: ٢٠٠٥): ٤٠٨/١.

(٦) أساس البلاغة: ٣٧.

(٧) تفسير القرآن الجليل – المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل، للامام أبي البركات عبد الله بن احمد بن محمود النسفي– دار الكتب العلمية (بيروت: د.ت): ٣٧/١.

ويستمر معرض الذم في صفة المنافقين وأهل الكتاب وقطعهم الرسالة التي جاء بها النبي (ﷺ) للناس كافة من أن تصل إليهم بأفعالهم القبيحة وبجهلهم العلم الرباني عند نقضهم العهد والميثاق، فدخلوا المحظور ألا وهي معصية الله تعالى ورسوله (ﷺ). ومن حكمة الله تعالى أيضاً أن جعل القطع في الأمر لأنه صادر من الله الواحد الأحد، وليس من طرفين. في حين تحتمل لفظة – نقض– بين طرفين من شدٍ وجذب وفسخٍ. وهذا محال على الله تعالى، فقدم النقض على القطع ولا عكس. إذن فالخطاب القرآني وسياقه المعجز ذكر نعمه تعالى، ومن تلك النعم مراعاة حق الميثاق، والعهد وعدم نقضه لما فيه من الوبال الكبير[١]. واصل الكلام يصدر عن ترابط المعاني الدلالية المتضمنة في النص القرآني إذ يمثل الشكل الخارجي ألا وهو قطع البناء ونقضه وهذه حقيقة ملموسة،في بينما يمثل الشكل الداخلي اهتزاز الإيمان في قلوب المنافقين. فضلاً عن جمالية التعبير البلاغي المتأتي من خلال السياق، فالمتتبع للسياق القرآني في هذه الآية ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴾ وقوله ﴿ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ يجد أن البلاغة في هذا الخطاب الرباني تتجسد بقول الزمخشري: قد تضمنت الآية الكريمة نوعين من البديع هما (البيان بالطباق) فالآية تأتي بالشيء وضده، فالضلال بعد الهداية، والنقص بعد التوثيق، والقطع بعد الوصل تناسب بالطباق[٢] لخلق المقارنة بين الذي يصل العهد والميثاق، وبيان حال الناقض للعهد والقاطع للميثاق مما اضفى على النص جمالاً ورونقاً، فالصورة التركيبية تأخذ احياناً أسلوب الحوار بين ((المؤمن، والكافر، والمنافق)) فضلاً عن

المشاهد الحسية التي أدركتها النفس فشعرت بها عن طريق خليفة الله سبحانه وتعالى(الإنسان) في الأرض فأفسد فيها من غير حق كـ ((الانقضاض/الميثاق/القطع/الوصل/الإفساد)). ويلاحظ من سياق النص أن دلالة – أَمَرَ– ابتدأت أولاً: بنقض العهد وهو – الأخص– ثم ثنى بقطع ما أمر الله به أن يوصل وهو – أعم– من نقض

(١) ينظر: حاشية الصاوي على تفسير الجلالين: (مذيلا بلباب النقول في أسباب النزول للسيوطي) أشراف ومراجعة وتقديم: صدقي جميل العطار–ط١– دار الفكر (بيروت: ٢٠٠٣): ٤٨٢/٢.

(٢) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تفسير القرآن الكريم، جار الله محمود بن عمر الزمخشري – دار الكتاب العربي (بيروت: د.ت): ٢٠/١.

العهد وغيره، ثم ختم الأسلوب بالإفساد الذي هو أعم من القطع، وكلها ثمرات الفسق.. ووصفها بالمضارع إشعاراً بالاستمرار والديمومة وهو أبلغ في الذم[١].

نعود ثانية إلى جمالية البلاغة التي جاءت على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية[٢]. إذ شبه التعبير القرآني بقوله ((ينقضون)) بانقضاض العهد والميثاق بالمدركات الحسية فالأسلوب الخطابي لا يراد به حقيقة العهد إلا أن هيئة الانقضاض ظهرت فيه من قِبَل القاصدين المريدين ذلك. ذهب أبو السعود إلى أن النقض:((فسخ التركيب من المركبات الحسية، كالحبل والغزل ونحوهما، واستعماله في إبطال العهد من حيث استعارة الحبل له، لما فيه من ارتباط احد كلامي المتعاهدين بالآخر، فإن شُفع بالحبل وأريد به العهد كان ترشيحاً للمجاز،وان قُرن بالعهد كان رمزا إلى ما هو من روادفه وتنبيها على مكانه،وأن المذكور قد استعير له)) [٣]. وبذلك يتحقق الغرض الأسلوبي في دلالة – أَمَرَ – من خلال تلك الصورة الملموسة من انقضاض العهد ووصله. ونجد أيضا في الآية الكريمة صورة أخرى من البيان ألا وهي الصورة الكنائية بقوله ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ فحرف (من) الدال على الظرفية المجازية في هذه الحالة أكمل لأنه ذكر (النقض والأمر)،وزيادة ضمير الفصل(هم) في قوله (هم الخاسرون) أفاد توكيد عدم الوفاء بعهد الله سبحانه فشدد العقوبة لان السياق يقتضيه، وهذا خطاب ((مسوق لتقرير المؤمنين على ذكر نعمة الله تعالى ومراعاة حق الميثاق وتحذيرهم من نقضه)) [٤].

---

(١) ينظر: البحر المحيط : ٢٧٤/١.

(٢) مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي –ط١– مصطفى البابي الحلبي وأولاده (مصر: ١٩٣٧): ١٧٦.

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ١٩٢/١.

(٤) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، شهاب الدين السيد محمود الالوسي البغدادي– مط– المنيرية– بغداد– دار أحياء التراث العربي (بيروت: د.ت): ٨٥/٦.

و(الميثاق) أشد في العقد و (العهد) مؤكد باليمين، وليس هذا المعنى إلا ذلك وإنما (كنى) به للالتزام والقبول[١].فدلالة – أَمَرَ – جمعت بين افتتاحية الآية بالنقض وختمت بجرس شديد ذات قرع مخيف فخاطب بالعذاب والخسران بقوله ((هم الخاسرون)) ويتجلى الضمير (هم) الذي يعود على الذين ينقضون العهد وهم المنافقون الشخصية المحورية في هذه القضية التي تتواشج بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ ﴾. فأطلق الخسران على محورين: احدهما الذي نقض نفسه من الفلاح والفوز، أما الآخر فَخَسرت الشيء (بالفتح) واخسرته بمعنى الهلاك والضلال لأنه خسر نفسه وأهله يوم القيامة[٢]،فضلا عنه أن قوة دلالة الإطلاق في (الخاسرون) تكمن في أنه لم يقيد بخسارة معينة،وإنما أطلق الخسران فحسب.

وفي سورة الرعد وهي من السور المدنية على قول ابن عباس وقتادة (رضي الله عنهم)إلا آيتين منها نزلتا بمكة وهما (٣٠-٣١) [٣]،نجد قوله تعالى﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ [٤].

ونعود إلى جمالية دلالة – أَمَرَ – في النص القرآني وما فيه من تعبير على أن الله تعالى لما ذكر صفات السعداء وما هم عليه من الأحوال الشريفة أتبعها بذكر صفات الأشقياء وما فيها من وعيد مخزٍ مكروهٍ[٥] فابتدأت الآية الكريمة بـ (وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ) من إفساد في الأرض ألا وهو إخراج الصالح عن صلاحه، فتفسده في ذاته.. حتى انتهت الآية بجرس مخيف يتسلل ببطء

---

(١) **ينظر: المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط: محمد خليل عيتالي– ط١– دار المعروفة (بيروت: ٢٠٠٥):٥٢٧؛ الالتفات في القرآن الكريم، مازن موفق صديق الخيرو، رسالة دكتوراه في اللغة العربية، إشراف د. احمد فتحي رمضان– كلية الآداب (جامعة الموصل، ٢٠٠٦) .**

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن– تفسير القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن احمد الأنصاري، القرطبي، تقديم: هاني الحاج، حققه واخرج أحاديثه: عماد زكي البارودي وخيري سعيد– المكتبة التوفيقية (القاهرة: د.ت): ٤٤/١.

(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي– ط١– دار الكتب العلمية (بيروت: ١٩٧٧): ٣١/١.

(٤) سورة الرعد، آية: ٢٥.

(٥) ينظر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي، قدم له: هاني الحاج، حققه وعلق عليه واخرج أحاديثه: عماد زكي البارودي– المكتبة التوفيقية (القاهرة: ٢٠٠٣): ٣٩/١٩.

وأناة إلى هؤلاء الكفرة نقضة العهد بالعذاب واللعنة في الآخرة... وبالمقابل لكل عمل ادَّاه أولو الألباب من الإيصال والخشية[1].ولقد تكلمنا على هذه الآية في سورة البقرة بشكل مستفيض، ومما يلفت الانتباه أن دلالة – أَمَرَ – في سورة البقرة انتهت بقوله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ أي " قذفوا أنفسهم باختيارهم الكفر بين أطباق النار"[2]. لأنهم ظنوا أنفسهم رابحين بإصرارهم على الكفر فخسروا الحسنات التي عملوها خوفاً من أن تفوتهم اللذة العاجلة فقذفوا إلى النار بموجبها. اذن فالخطاب القرآني بأسلوبه المتدفق المتماسك فيما بينه يراعي مقام المتلقي بالدرجة الأولى. وفائدة البلاغة في قولهچ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ يكمن في انها قصر قلب اذ إنهم ظنوا انفسهم رابحين وهو استعارة مكنية تمثيلية تقدمت في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ {الاية١٦من سورة البقرة} وذكر الخسران تخييل مراد منه الاستعارة في ذاته على نحو ما قرر في ينقضون عهد الله فهذه الآية موجهة إلى الفاسقين وهم اليهود والمنافقون والمشركون[3]. ومن جهة أخرى فالآية مطلقة بضمير (هم) التي تدل على الخسران في الدارين، لكل من نقض عهد الله تعالى وميثاقه، فضلاً عن أمره الذي ضم الأشياء كلها.

أما الآية التي ترادفها فهي قوله تعالىچ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾. فقد جاء التعبير القرآني بأسلوب يخالف الذي قبله بقوله ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [4]. فدلالة – أَمَرَ – خصتْ هذه الآية بأقوام نقضوا عهد الله تعالى وميثاقه، بدليل حرف الجر (اللام) في (لهم) الداخلة على الضمير، والتي تفيد ((الاستحقاق)) [5] أي أنهم استحقوا هذه الدار التي قيدت لهم بسوء عملهم عملهم ألا وهي عذاب النار في الآخرة، فذاك الخسران أتى بهم لهذه الدار فطردوا وابعدوا عن رحمة

(١) ينظر: تفسير الشعراوي، خواطر فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي حول القرآن الكريم– ط١– دار الكتب العلمية (بيروت: د.ت): ٧٣٠٥/١٢.

(٢) تأويلات أهل السنة: ٤٠٩/١.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، محمد طاهر بن عاشور، دار سحنون (تونس: ١٩٩٧): ٣٧٢/١.

(٤) سورة الرعد، آية: ٢٤.

(٥)مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، لابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد – مط– المدني المدني (القاهرة: د.ت): ٤١٠/١.

الله تعالى. كما طرد إبليس بكفره وتكبره. ومن جهة أخرى أفادت (لهم) الثانية التوكيد في تخصيص العذاب والمراد بها ((الدنيا وسوء عاقبتهما عذاب جهنم او جهنم نفسها ولم يقل (سوء عاقبة الدار) تفادياً لجعلها عاقبة حيث جعل العاقبة المطلقة هي الجنة)) [١]. اذن نلاحظ جمال الألفاظ في كلتا السورتين (البقرة، والرعد) فالحساب يأتي من العد والتقدير، وهذا الشيء مقتصر على دار لها عدة أبواب وقد وجدت الدار التي ضمت الفريقين.

المبحث الثاني: النجوى في مرضاة الله تعالى :

قوله تعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [٢].

إن هذه الآية من الآيات المدنية من سورة النساء تصور لنا مشهداً من مشاهد المجتمع الإسلامي في المدينة، والتناجي كان جزءاً لا يتجزأ من هذا المجتمع الذي عاش عصرين، الجاهلي وعصر صدر الإسلامي، فـ ((قد كان التناجي متفشياً لمقاصد مختلفة فيما بينهم من منافقين ويهود وضعفاء المسلمين)) [٣].

وردت (النجوى) في اللغة، فناجيتهُ وتناجوا وأنتجوا أي سارررته، وأصله من النجاة أي تعاونه على ما فيه نجاته، والنجوى أصله المصدر [٤] وذهب الزمخشري: إلى أن النجوى من قد أصابته النّجواء أي حديث النفس ونجواها، وبات وفي صدره نجية قد أسهرته وهي ما تناجيه من الهم. وكانت العرب تتغنى بالنجوى في أشعارها وأقوالها، ومنه قول جرير:

أما تجزينني ونجيُ نفسي أحاديث بذكرك واحتمام [٥]

(١) روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني: ١٣/١٩٠.

(٢) سورة النساء، آية: ١١٤.

(٣) التحرير والتنوير: ٥/١٩٨.

(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٤٨٦.

(٥)شرح ديوان جرير، محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، مضافا إليه تفسيرات العالم اللغوي أبي جعفر محمد بن حبيب– مكتبة محمد حسين ألنوري– سوريا– اللبنانية للكتاب (بيروت: د.ت): ٥١٣.

وقولك نجا ينجو إذا قضى حاجته نجواً[١]، وهذا ما نرجحه في الآية الكريمة لان الرجل يناجي صاحبه في عمل صاحبه في عمل الخير ليقضيها له. إذن نلاحظ سياق النص بأسلوبه التركيبي البسيط يستفز ملكات المتلقي ليعيش مع الخطاب القرآني لحظة نزوله على النبي (ﷺ) من أوامر ربانية تحثهم على النجوى الصالحة التي تقربهم إلى الله تعالى والابتعاد عن النجوى التي تضم الإثم والعدوان.

إن الأسلوب الدلالي في – أَمَرَ – داخل الخطاب القرآني يدل على ثلاث حالات من حالات التناجي واقعة موقع الاستثناء مما قبلها من انتفاء الخيرية عنها جاءت على سبيل العطف، كما يأتي:

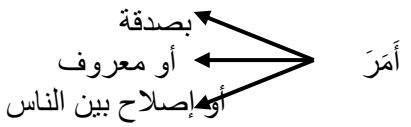

نجد أن السياق هو في إنفاق الأموال، فكان تقديم الصدقة مناسباً للمقام، فالنجوى سر بين اثنين وكذا الصدقة سر بين العاطي والمعطي له، وجاء اللفظ على الحقيقة مطلقا غير مقيد ليشمل أصحاب الصدقات بقوله ((أَمَرَ بِصَدَقَةٍ)). ولقد اتت الكلمة (الصدقة) بصيغة المبالغة، كما رأى الدكتور فاضل السامرائي: في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾[٢]. فقال ((فانه ذكر من بالغَ في الصدقة في سورة الحديد لأنه تكرر فيها ذكر الإنفاق والنهي عن البخل، فناسب ذكر المبالغة في الصدقة)) [٣] وتأتي (الصدقة) بمعنى آخر ألا وهي النصيحة[٤]. والنصيحة كانت للسارق الذي سرق – وهو احد بني أبيرق – درعاً في عهد النبي (ﷺ) ولما نصحه النبي (ﷺ) أن يعترف بخطئه.. فجاء فريق يجادل عنهم فنهى الله تعالى رسوله (ﷺ) عن عضد أهل التهم والدفاع عنهم، فنزل قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ

(١) ينظر: أساس البلاغة: ٤٤٨.

(٢) سورة الحديد، آية: ١٨.

(٣) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي – ط١– دار الشؤون الثقافية العامة – آفاق عربية– (بغداد: ٢٠٠٠): ٣٧.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٣٦/٥.

لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴾ [١]. وقوله ﴿ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ١٠٧ ﴾ [٢]. إلى قوله تعالى ﴿ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ ... ﴾ [٣]. والمراد من الآيات الكريمات هو ((ما تفاوض به قوم بني أبيرق من التدبير بينهم حتى يذكروه للنبي (ﷺ))[٤]، فالإنسان محتاج إذن إلى من يهديه إلى الطريق ولا يوجد أفضل من النصيحة بدليل ما روي عن تميم الداري أن النبي (ﷺ) قال: ((الدين النصيحة)) قلنا: لمن؟ قال: ((لله، ولكتابه، ولرسوله، ولائمة المسلمين، وعامتهم)) [٥]. وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم ثنى بعلاقته المتواشجة بـ ((المعروف)) بوساطة حرف العطف (أو) والسياق في الآية استعمل لفظ ((المعروف)) الذي قال عنه ابن رجب الحنبلي: ((إنه دعاء إلى طاعة الله تعالى، وكف عن معاصيه وذلك خيرٌ من نفع المال))[٦]. ودلت – أَمَرَ – في الخطاب القرآني على أن كل معروف صدقة، فهو لفظ مطلق يشمل جميع أعمال البر.

ونشير إلى جانب آخر من الآية الكريمة وهو قوله ((إصلاح بين الناس)) وهي من أعظم الصدقات التي يحبها الله سبحانه وتعالى ورسوله (ﷺ)، فصلاح العبد وفلاحه عائد إلى فضل الباري – سبحانه– الذي أَمَرَ أن يصلح المرء بين الناس إذا تخاصموا، وتباعدوا ويقرب بينهم، قال القرطبي: إن هذه الآية الكريمة تدل على العموم في الدماء، والأموال، والأعراض أو كل ما يقع التداعي والاختلاف بين المسلمين[٧].

---

(١) سورة النساء، آية: ١٠٥.

(٢) سورة النساء، آية: ١٠٧.

(٣) سورة النساء، آية: ١١٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ٣٣٤/٥.

(٥) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشري النيسابوري، تحقيق: محمود فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي (بيروت: د.ت): ٤٤.

(٦) **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن احمد بن رجب الحنبلي البغدادي–ط٣– دار العلوم الحديثة–بيروت– ومكتبة الشرق الجديد (بغداد: ١٩٨٣): ٢٢٢.**

(٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٣٦/٥.

بيد أن النص يعبر عن اقامة الشيء وصلته وعدم تفرقه بأسلوب المدح والثناء على المصلح، وهذا ما نجده عند الشاعر العربي الذي عبّر عن ذلك ، يقول الحطيئة:

كيف الهجاءُ وما تنفك صالحةٌ إذا ذكرتُ بظهر الغيب تأتيني(١)

عبّر الشاعر عن مدح غيره بخصلة واحدة صنعها له، فحافظ على إصلاح البين ولم يخاصمه، فما بالك بالأسلوب القرآني وما عبرت به الآية الكريمة عن جميع الطاعات، والنهي عن المحذورات في حين تأتي مغايرة السياق القرآني في سورة الأنفال في قوله تعالى: ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ (٢). ونزول هذا النص بسبب حصول شجار بين المسلمين على اقتسام الغنائم ذهب الرازي إلى أن في قوله ((وإصلاح ذات بينكم)) محورين احدهما: تقوى الله سبحانه ومخافة معصيته وترك المنازعة والمخاصمة بسبب هذه الأحوال والرجوع إلى ما حكم الله تعالى به. والآخر: إصلاح ذات بينكم من الأقوال لأن الأقوال واقعة في البين فقيل لها ذات بين، كما أن الأسرار تقع في الصدور فسميت ذات صدر(٣). فدلالة – أَمَرَ – في السياق تدل على أن – الصلاح– أهم من الصدقة والمعروف، لأن المؤمن قد لا يتصدق، فالذي يدخله الجنة وينجيه من العذاب هو أن يكون من الصالحين.في حين إنّ الصدقة والمعروف كلاهما من الصلاح.

وقدمت الصدقة على المعروف والصلاح لأن السياق هو في المناجاة، فقد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٤).

(١) ديوان الحطيئة– برواية وشرح ابن السكيت، تحقيق: د. لقمان محمد أمين طه– مط– المدني – مكتبة الخانجي (القاهرة: ١٩٨٧): ٢٩٥.

(٢) سورة الأنفال، آية: ١.

(٣) ينظر: التفسير الكبير او مفاتيح الغيب: ٩٧/١٥.

(٤) سورة المجادلة، آية: ١٢.

ودلت الآية على أحكام ثلاثة:

الأولى: تقديم الصدقة أمام مناجاتهم للنبي (ﷺ) لمن يجد.

الثانية: الرخصة في المناجاة لمن لا يجد الصدقة بقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [١].

الثالثة: وجوب الصدقة[٢] أمام قوله تعالى:﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [٣]. بيد أن دلالة – اَمَرَ – في السياق بقوله (لا خير) هو أبلغ من قولك (لا فضل) فالمعنى لا يتعلق بزيادة المال او القوة أو الجمال أو العقل أو بزيادة رزق كقوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [٤]. فالفضل يحتمل وجوها كثيرة، ولا يستلزم الخيرية إلا إذا كان فضل تقوى، والتفضيل الأخروي لا يستند إلى الفضل الدنيوي، بل يستند إلى الخيرية في الحياة الدنيا[٥]، فالله تعالى يسلب الخيرية إذا لم يفعلوا ما أمروا به ويهبوا أهل النجوى بغير الحق فيجعلها الله عز وجل هباءً منثوراً، إذن النص يختار المراد من الكلمة ولاسيما أحرف الجر وموضعها الملائم في الآية الكريمة وعلاقتها المتواشجة بدلالة – أَمَرَ – وعلاقاتها بـ(النجوى) في الآية الكريمة التي تدل على أن لا خير في كثير من نجواهم إلا نجوى من أمر بصدقة.هو أن يكون النجوى اسما للجماعة المنفردين ،فتكون(من)في موضع خفض على البدل ،أي لا خير في كثير من نجواهم إلا فيمن أمر بصدقة، [٦]، والراجح على أن (مَنْ) في قوله (أمر بصدقة) اسم موصول بمعنى (الذي) والتقدير إلا الذي أَمَرَ.

---

(١) سورة المجادلة، آية: ١٢.

(٢) ينظر: أحكام القرآن، للإمام أبي بكر احمد بن علي الرازي الجصاص، ضبط نصه وخرج آياته: عبد السلام محمد علي شاهين – ط٢– دار الكتب العلمية (بيروت: ٢٠٠٣): ٥٧٢/٣.

(٣) سورة المجادلة، آية: ١٣.

(٤) سورة النحل، آية: ٧١.

(٥) ينظر: من أسرار الأسماء في القرآن الكريم، بسام نهاد جرار– ط١– مركز نون للدراسات والأبحاث القرآنية (فلسطين: ٢٠٠٣): ٤٦–٤٧.

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٥٥/٥.

ونلاحظ من خلال النص الكريم أن هنالك حلقة متصلة بعلاقتها المتواشجة ولاسيما فعل الشرط بقوله ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ وافتقاده إلى سلسلة لتكمل المعنى المراد منه، فيمر الجواب مضياً باتصاله بـ (فاء) الجزاء على الشرط بقوله ((فسوف نؤتيهِ أجراً عظيماً))، فيكون بذلك مكافأة- الفعل – وبين أوامر التي امر الله عز وجل بها من (صدقة او معروف أو إصلاح بين الناس) التي حققت ايحاءً بعموم الحكمة لا بخصوص السبب، وكلها حقائق ثابتة أسندت إلى فعل الإنسان بدليل قوله (من يفعل) فجعل الفعل مرتبط بالخيرات والطاعات ابتغاء مرضاة الله تعالى، فضلاً عن دخول حرف الاستقبال (سوف) المختصة بالفعل المضارع، كما أنها تفيد الإطالة لكثرة حروفها، وتكون للبعد والتراخي[1]. وآية ذلك البعد تقريب الإيمان وترغيبه في ذهن المتلقي للفوز بتلك الطاعات التي دل عليها فعل – أَمَرَ- .والمناسبة الدلالية التي تجسدت في (وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ) بفعل الأمر من (صدقة أو معروف أو صلاح بين الناس) الذي لا يوجد في كثير من الناس فعبر بالقليل لأنه لم يحدث، وانتهت الآية بقوله (فسوف نؤتيه أجرا عظيما) فحرف (الفاء) الداخلة على (سوف) أفادت التوكيد على أن الله سبحانه وتعالى يجزي المؤمنين المقربين بالعبودية العاملين للآخرة، وكل هذا وذاك فيض من عطاء الله عز وجل. قال سيد قطب: ((هذا هو مفرق الطريق بين العمل يعمله المرء فيرضي الله عنه ويثيبه به، والعمل نفسه يعمله المرء فيغضب الله تعالى عليه، ويكتبه له في سجل السيئات)) [2].

وانتهت الآية الكريمة بجزاء كبير يعطيه الله تعالى وهو الجنة لمن يفعل الطاعات التي – أَمَرَ – الله عز وجل بها عباده، فقوله ((نؤتيه)) بنون العظمة على الالتفات من الغيبة في قوله ((مرضاة الله)) إلى التكلم ، وإذ وعد بالثواب على ذكر المذكورات لما فيها من المنافع التي يحبها الله سبحانه[3].

(١) ينظر: معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي –ط٢– شركة العاتك (القاهرة: ٢٠٠٠): ٢٢/٤٠-٢٥.
(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب – ط٧– دار إحياء التراث العربي (بيروت: ١٩٧١): ٥٢٣/٢.
(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٠٠/٥.

المبحث الثالث: العبودية والقوامة لله تعالى :

قال تعالى: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١).

وهي من الآيات المكية التي يدل فعل – أَمَرَ – فيها دلالة واضحة على وحدانية الله تعالى وتبليغ رسالته إلى الناس جمعاء(٢)،و((هكذا بدأ يوسف (عليه السلام) يبلغ رسالة ربه، وقد انتهز فرصة وجود من يطلب منه العون ويستمع لما يقول ولا شك أن هذه المرة الأولى لم تكن الوحيدة، لأن عناية الله تعالى وضعت يوسف (عليه السلام) موضع القوة والسلطة والتأثير، فلا شك انه واصل تبليغ الرسالة للناس وان لم يستجيبوا له بإخلاص)) (٣)، ووظف لفظة – أَمَرَ – لتنبيه المخاطب وشده إلى حقيقة توحيد الله عز وجل لا غير، إذ تحقق ذلك باستعمال أسلوب النفي بـ ((ما)) التي تكررت مرتين جاعلة الفعل المضارع الذي اتى بعدها ((خالصا)) للحال(٤) في قوله ((ما تعبدون من دونه)). وقد عدل في قوله ((ما أنزل الله بها من سلطان)) ((الى لفظ الماضي تقريراً وتحقيقيا لوقوعه)) (٥)، ثم أدخل عليه حرف (من) الذي يفيد التوكيد إذ تكرر في الآية مرتين، وادخل عليها عنصر التحويل (ما) النافية. فالسياق سياق توكيد وإلزام حجة على السامعين مما احدث أثراً عميقاً لدى المتلقي.

ودلالة –أَمَرَ– تدور حول سمات يوسف (عليه السلام) الذي يتصف بالعلم اللدني في تفسير الرؤيا من جهة، وتوحيد الله سبحانه من جهة أخرى. قال سيد قطب: ن هذه الأرباب سواء كانت من البشر أو غيره من الأرواح المسخرة بأمر الله عز وجل ليست من الربوبية في شيء فالربوبية لا

---

(١) سورة يوسف، آية: ٤٠.

(٢) ينظر: تفسير الجلالين بهامش القرآن الكريم (مذيلا بكتاب لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي)–ط٢– دار ابن كثير (بيروت: ٢٠٠٥): ٣٨٦–٣٨٧.

(٣) البيان في روائع القرآن – دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، د. تمام حسان– ط٢– عالم الكتب (القاهرة: ٢٠٠٠): ٣٦٨.

(٤) في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي وتطبيقه على التوكيد اللغوي، والنفي اللغوي، وأسلوب الاستفهام، د. خليل احمد عمايرة، تقديم: أ.د. سبهان حسن العاني– مكتبة المنار (الأردن: د.ت): ١٩٧.

(٥) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: أبي الفضل الدمياطي – دار الحديث (القاهرة: ٢٠٠٦): ٩٩٤.

تكون إلا لله الواحد القهار، ولكن البشر في جاهليات متعددة الأشكال يسمون من عند أنفسهم أسماء ويجعلون عليها صفات وخصائص هي خاصية الحكم والسلطان . وإنزال السلطان . كناية عن إيجاد دليل إلهيتها،والله لم يجعل لها سلطان [١]، وهذا ملخص قوله (ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم...) كما في قوله تعالى في سورة النجم:﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ [٢]. ومعنى الآيتين ((لا تتبعُ الأسماء)) [٣]. نرى جمال الخطاب القرآني وتأثيره لدى المتلقي في أن يوسف (عليه السلام) بدأ بخطاب اثنين بصورة خاصة وأراد كل من أشرك على جهة العموم بقوله تعالى ﴿ رَبِّيٓ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [٤].

وأسلوب الاستثناء ظاهرة من الظواهر الأسلوبية التي تكررت في الآية الكريمة ثلاث مرات، وأسهمت إسهاماً داخليا في تكثيف دلالة – أَمَرَ – في النص. أما في قوله ((أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ)) فـ (إلاّ) هي التي تدخل على الجملة الفعلية وتفيد التخصيص[٥]. وأفادت في الآية الكريمة التوبيخ[٦]، فالاستثناء مفرغ والضمير (إياه) عائد إلى الفعل (تعبدوا) [٧].

فالعبودية والحكم لا يكونان إلا لله تعالى، قال سيد قطب: إن الحكم إلا لله، فهو مقصور عليه – سبحانه– بحكم إلوهيته. إذ الحاكمية من خصائص الإلوهية ومن ادعى الحق فيها فقد نازع الله عز وجل وكفر به، وليس من الضروري أن يقول: ما علمت لكم من إله غيري؛ أو أنا ربكم الأعلى

---

(١) ينظر: في ظلال القرآن: ٤/٧٢٤.

(٢) سورة النجم، آية: ٢٣.

(٣) الوشي المرقوم في حل المنظوم، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق: د. جميل سعيد– مط– المجمع العلمي العراقي (بغداد: ١٩٨٩): ١٥٧.

(٤) سورة يوسف، آية: ٣٧.

(٥) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الاعاريب: ١/١٥٤.

(٦) الجنى الداني في حروف المعاني، حسن بن قاسم المرادي، تحقيق: طه محسن– مؤسسة دار الكتب – ساعدت ساعدت جامعة بغداد على نشره (جامعة الموصل ١٩٧٥): ٣٧١.

(٧)الاستثناء في القرآن الكريم، نوعه، حكمه، إعرابه، حسن طه حسن– مط– الزهراء الحديثة المحدودة (الموصل: ١٩٩٠): ٧١.

كما قالها فرعون جهرة[١]. فالسياق القرآني يصور لنا عمق الدلالة – بأسلوب مؤثر ينشط وعي المتلقي– التي تتجسد بـ (أَمَرَ) التي أعطت صورتها الحقيقة في (العبادة، والحكم، والدين القيم) فالمرء يحتاج إلى تعليم كيفية الامتثال لأمر الله تعالى واجتناب نهيه.لان ذلك نتيجة لإثبات الإلهية والوحدانية له،فهي بيان لجملة (إن الحكم إلا لله) لما فيها من معنى الحكم[٢]. ودلالة (القيم) مأخوذة من – قوّم– الشيء تقويماً فهو قويم أي مستقيم[٣]، كما تدل على معنى التهذيب[٤] . فالسياق في دلالة – أَمَرَ– يصور لنا مظهراً من مظاهر طهارة النفس من الشرور والمآثم. وعند نزول هذا النص على قلب النبي (ﷺ) لم يكن شيءٌ من الشعائر قد فرض بعد حتى ينطلق اللفظ إليه. فانه استقام على توحيد الله عز وجل وصدق بأسمائه وصفاته وآثاره في النفوس والآفاق واستقام على الصراط المستقيم[٥]، ولو تأملنا قليلاً في التعبير القرآني نجد النبي يوسف (عليه السلام) يقرر ان اختصاص الله عز وجل بـ (الحكم) تحقيقا لاختصاصه بـ (العبادة) وهو وحده الدين القيم[٦]، وذلك سمة من سمات العقيدة.

وقد يكون مفتتح السورة موجبا لنهايتها بقوله (لا يعلمون) التي تقرر عملية كسب الإنسان وحصاده في بداية قوله (ما تعبدون من دونه إلا...) الآية تثبت العقيدة وترد على منكريها، فنفت عنهم العلم بجهلهم، لأنهم لا يعلمون حقيقة الدين، كما نفى عنهم عبادة الأرباب والتوجه إلى عبادة الواحد الديان ، وقد نفى الله عز وجل فكرة هؤلاء الآباء ووصفهم بالجهل بقوله (لا يعلمون) كما أبطل عقيدتهم بالرد على الأبناء الذين اكتفوا بعلم الآباء، ولو كان هؤلاء الآباء لا يعلمون شيئاً عن طريق التعقل والثناء ويرفضون العلم الذي وصل إليه غيرهم[٧]. فضلاً عن أن فعل – أَمَرَ– يضفي يضفي شمولية على هذه الآية الكريمة في الإلوهية والعبودية.

---

(١) ينظر: في ظلال القرآن: ٤/٧٢٥.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٢/٢٧٧.

(٣) ينظر: مختار الصحاح، محمد عبد القادر الرازي– دار الكتاب العربي (بيروت: ١٩٨١): ٥٥٧.

(٤) من بلاغة القرآن،د٠احمد احمد بدوي– دار النهضة (مصر: ١٩٧٧): ٣٤٣.

(٥) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، للعلامة أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، ضبطه وصححه: عبد الغني محمد علي الفاسي–ط١– دار الكتب العلمية (بيروت: ٢٠٠٤): ٣٩٥.

(٦) ينظر: في ظلال القرآن: ٤/٧٢٦.

(٧) ينظر: صفاء الكلمة، د. عبد الفتاح لاشين – دار المريخ (الرياض: ١٩٨٣): ١٦٤.

المبحث الرابع: القسط والإخلاص في الدين :

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ (١).

نلاحظ أن الآية الكريمة من الآيات المدنية التي تثير الإهانة والتحقير بالكافرين، وعلى الصعيد الآخر إقرارهم بتوحيد الله تعالى وطاعة ما أَمَرَ به(٢). يدل الفعل (قل) في صيغة (قل أَمَرَ) على الطلب بهدف تنبيه المتلقي على الأوامر الإلهية، فضلاً عن جرسه الشديد ليعبر عن أمر عظيم يوحي بما بعده من أحداث.

ذكر ابن الأثير في بلاغة هذه الآية الكريمة، إذ أعاد الخطاب إلى أصله بقوله: أمر ربي بالقسط، و(إقامة) وجوهكم عند كل مسجد.. فعدل إلى فعل الأمر زيادة في التوكيد، فالصلاة صلة العبد بخالقه ثم عطف الإخلاص عليها، لأنه عمل القلب، ولا يصح ذلك إلا بإخلاص النية(٣).

ونلحظ مما تقدم أن الخطاب لو جاء به على أسلوب واحد لقال: أمر ربي بالقسط، وأمركم أن تقيموا وجوهكم... وان يضع في نفسه أن الانتقال من صيغة إلى صيغة أخرى إنما يكون من أجل الالتفات ليكمل أمر الخطاب، وتتفاوت درجته في البلاغة (٤)، وقد جاء السجود في قوله (عند كل مسجد) مجازاً عن الصلاة(٥).

ونعود إلى السياق ثانية بقوله (أمر ربي ← بالقسط) وهي جملة خبرية ، وإخبار الله عز وجل واجب التصديق به كـ (أسمائه وصفاته ورسله...) وانظر لفظ (أمر ربي) مناسباً لما ذكر بعده بقوله تعالى:﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾ (٦). فالله تعالى قد اثبت له صفة (العدل) وتلك صفة ثابتة له تعالى ، فقوله (أمر ربي بالقسط) ابلغ من قوله (أمر ربي بالعدل) لان من

(١) سورة الأعراف، آية: ٢٩.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٥٢/٧.

(٣) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ١٩٣/٢.

(٤) ينظر: الطراز المتضمن لإسرار البلاغة وعلوم وحقائق التنزيل، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي – دار الكتب العلمية (بيروت: ١٩٨٢): ١٣٧/٢.

(٥) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني: ١٠٧/٨.

(٦) سورة الأعراف، آية: ٣٠.

معاني – القسط– هو (العدل) فان لفظ (القسط) في اللغة: الحصة والنصيب، والقسط بالكسر العدل، والإقساط هو العدل في القسمة والحكم[١].في حين لفظ (العدل) هو ما قام في النفس انه مستقيم[٢]. وأجمل ما قيل في ذلك قول ابن عاشور: العدل ((اللباس الذي يستر العورة وعدم التعري)) [٣]. ففي هذه الآية الإشارة إلى إبطال الفحشاء التي نهى الله عنها. لذا فان استعمال دلالة (القسط) في الآية الكريمة أنسب.

وفي التعبير القرآني يوجد ظاهرة الحذف التي أسهمت إسهاما كبيراً في دلالة الآية بقوله (أمر ربي بالقسط) التي عبر عنها القرطبي بقوله: أَمَرَ بالعدل فأطيعوه[٤]. فدلالة الحذف تشير إلى إيقاع فيه بهجة ورونق، فإذا ظهر المحذوف وذكر في الكلام زال الرونق وضاعت بهجة النص.

أمر الله تعالى نبيه بصيغة الخطاب (قل) بقوله (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) فالأسلوب الذي أحدثه حرف العطف ((الواو)) في السياق القرآني عمد إلى ارتباط شيئين في حكم واحد بقوله (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) وهذا خطاب فيه رد عليهم بما زعموا أن الله عز وجل قد أمرهم بالفحشاء، بل أُمِروا بـ ((الإقامة)) التي معناها في اللغة: دام وثبت على الأمر[٥]. وظاهر الآية تنبيه المخاطب إلى فكرة وحقيقة التوحيد التي كانت متواشجة بـ (قل أَمَرَ ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) قال الشعراوي: فلفظ القسط هو العدل وكلمة العدل هي التسوية و (قل أمر ربي بالقسط) جملة خبرية. و (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) وهذا فعل أمر قد يتبادر إلى الذهن ان هذا من عطف الأمر على الخبر، ولكن الحق يعطفها على ((قل)) فالمقصود – قل امر ربي بالقسط، وقل أقيموا وجوهكم عند كل مسجد[٦]. فالنسق القرآني بأسلوبه المتناسق يصور لنا عملية الانتصاب وكيفية توجيه الوجه تجاه المسجد، فالمقصود، الجهة. أي أينما يكن يول وجهه قبل المسجد ابلغ من قوله (وأقيموا وجوهكم عند كل قبلة) فالقبلة تكون داخل المسجد وليست خارجه بدليل قوله تعالىچ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ

(١) ينظر: لسان العرب المحيط: ٨٦/٣.
(٢) المصدر نفسه: ١١٢٥/٢.
(٣) التحرير والتنوير: ٨٧/٨.
(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٥٢/٧.
(٥) ينظر: أساس البلاغة: ٣٨٢ .
(٦) ينظر: تفسير الشعراوي: ٤١٠٥/٩.

تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [1]. فالآية تعبر عن أن المسجد قبلة لأهل الأرض، فضلاً عن أمره – تعالى – بالعدل والاستقامة في عبادته، ومتابعة المرسلين وما جاء له من الشرائع بالإخلاص له – تعالى– في العبادة، فانه – سبحانه – لا يقبل العمل حتى يجمع هذين الركنين الإقامة والإخلاص من الشرك[2]. ومن جمال السياق في – أَمَرَ– أنها انتهت بـ (إخلاص الدين) وإبطال الشرك والانقياد لله تعالى وتحقيق القسط الذي في قوله (قل أمر ربي بالقسط) وختمت الآية الكريمة بإنذار شديد من عدم الإخلاص في العبادة بقوله ((تعودون)) التي أدمجت بقوله (كما بدأكم تعودون) فحرف – الكاف – للتشبيه، وأما دلالة ((ما)) فتكون مصدرية، والمعنى تقديم المتعلق ((بدأكم)) الدال على التشبيه في فعله ((تعودون)) للاهتمام به[3].

المبحث الخامس: الخشية والخوف من الله تعالى :

قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾ [4].

تعد هذه الآية من الآيات المدنية إذ دلت – أَمَرَ– في الآية الكريمة على صلة الأرحام[5]. والكافرون يعلمون علم اليقين بان النبي (ﷺ) صادق أمين في دعوته إلى الله تعالى، وادعوا عليه الجنون والسحر، وقطعوا صلة الرحم التي تربطهم به بالرغم من إلحاح النبي (ﷺ) على عدم قطعها. فتؤكد دلالة قوله ((والذين يصلون)) للدلالة على ان صلاتها خصلة عظيمة تقتضي الاهتمام بالذكر، فالسياق القرآني بأسلوبه الخطابي بين فريقين فريق مؤمن يفي بالعهد ويصله وآخر كافر أو غير مؤمن ينقض العهد ويقطعه ولكن بصيغ مختلفة، يعطي كل صيغة قوة جرسيه ذات

(١) سورة البقرة، آية: ١٤٤.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، متضمنة تحقيقات: محمد ناصر الدين الألباني، خرج أحاديثه: محمود بن جميل ووليد ابن محمد بن سلامة، خالد بن محمد بن عثمان – ط١– مط– دار البيان الحديثة – مكتبة الصفا (القاهرة: ٢٠٠٤): ٢٣٧/٣.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٩٨/٨.

(٤) سورة الرعد، آية: ٢٠.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٥٢/٩.

إيقاع مميز فالاسم الموصول الذي يختص بجماعة العقلاء يتمثل بـ (الذين) [١] فالنص يرمز إلى أن الله سبحانه خاطب عقلاء قريش، وبالأخص ساداتهم وكبراءهم الذين يعلمون بعهود الله تعالى ومواثيقه وينقضونها بجهلهم وقلة فهمهم. والآخر ((ما)) فمن عدها اسم موصول فعلى تقدير: الذي أَمَرَ هو الله عز وجل، فهي تقع على ما لا يعقل ولصفات العقلاء وتكون أكثر إبهاما[٢] بالرغم من أن ((ما)) فيها حرف المد– الألف– الذي يكون فيه اتساع في هواء الفم.. فإذا أوقعوها وخصوا بها من يعقل أبدلوا الألف نونا ساكنة فذهب امتداد الصوت فصار قصر اللفظ وازنا لقصر المعنى[٣].

ومن المظاهر التعبيرية في البيان القرآني أن دلالة ((ما أَمَرَ الله به)) تتدرج في مسلك الفعل المضارع ((يصلون)) إلى صيغة الماضي ((أَمَرَ)) لتقريب الحدث المستقبلي وكأنه حاصل لا محالة، وصيغة المضارع في (يصلون/يوصل/يخشون/يخافون) التي جسدت عملية الاستمرار التي تحقق وقوعه في إتيان الثواب، فضلاً عن استحضار المشاهد العبودية. ونجد ظاهرة التكرار في النص القرآني في (يصلون، يوصل) التي عبر عنها ابن الأثير بقوله: وهذا الأسلوب يفيد تقوية المعنى، وسبيل هذه التقوية قرع الأسماع وإيقاظ الأذهان[٤]. وهذا التكرار زيادة وتوكيد على العهد وإتيانه ابلغ في الخير بقوله ((ان يوصل)) ودلالة ((ما)) تنبيه على ذلك العهد كي لا تستولي عليهم الغفلة. وفائدة ذلك ((تمكين المكرر في النفوس وتقريره))[٥]. إذن دلالة – أَمَرَ– تضفي دلالة مؤثرة لدى المتلقي ظهرت بقوله (يخشون ربهم) و (يخافون سوء الحساب) فهي قلوب موقنة تخرج عن الكفر. وقد اختصت الخشية بالله عز وجل لأنها تدل على العظمة[٦].في حين إن كلمة (يخافون)

(١) ينظر: حاشية الصبان – شرح الاشموني على ألفية ابن مالك، ومعه شرح الشواهد للعيني، تحقيق: محمود بن الجميل– ط١– مكتبة الصفا (القاهرة: ٢٠٠٢): ١٥٠/١.

(٢) ينظر: الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون – ط٣– مكتبة الخانجي (القاهرة: ١٩٨٨): ٣٠٩/٢.

(٣) ينظر: بدائع الفوائد، للعلامة أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي المشتهر بابن قيم الجوزية، عني بتصحيحه والتعليق عليه إدارة الطباعة المنيرية– دار الكتاب العربي (بيروت: د.ت): ١٣١/١.

(٤) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ١٥/٣.

(٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٤٢٢/٢.

(٦) صفاء الكلمة: ٦٥.

من تخوّفه تنقصه واخذ من أطرافه[١] قال أبو هلال العسكري: إن (الخوف) يتعلق بالمكروه وتركه، و(الخشية) تتعلق بمنزل المكروه، ولا يسمى الخوف من نفس المكروه خشية[٢]. نستشف من هذه الأقوال ان خوف الله تعالى يكون في المراتب العليا، والخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علم[٣]، لذلك خص الله سبحانه بها العلماء بقوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[٤]. فالآية الكريمة ذات صورة جمالية تركيبية وذات جرس شديد هادئ يعبر عن جانب الشفقة والرقة وضعف المؤمن بين يدي الله عز وجل، وان كان ذا قوة وسلطة.

المبحث السادس: تقوى الله (ﷻ) :

قال تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴾[٥].

إن النص القرآني من الآيات المكية .وتدل – أَمَرَ – في الآية الكريمة على أن التقوى خير زاد يتزود به الإنسان ، وخير ما اتصف به العقلاء[٦]، فالقرآن الكريم يصور لنا مشهداً من مشاهد العصبية الجاهلية التي كانت سببا في نزول هذه الآية الكريمة، فيما روى عن أبي هريرة (رضي الله عنه) انه قال: ((ان ابا جهل قال: إن رأيت محمد يصلي لأطأن على عنقه)) [٧]. فالنبي (ﷺ) هادٍ يهدي إلى إلى الحق وابو جهل – ومن سار على منهجه – نهى عن الذكر وكذّب بما جاء به (ﷺ). قال الفراء: في قوله تعالى﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ ﴾[٨]. فأبو جهل اعرض عن الإيمان، والناهي مكذوب متول عن الذكر، وما ذلك إلا توبيخ لفعله[٩]. ابتداء الأسلوب القرآني باستفهام

(١) ينظر: أساس البلاغة: ١٢٢.
(٢) ينظر: الفروق في اللغة، أبو هلال العسكري – ط٣– دار الأفاق الجديدة (بيروت: ١٩٨٩): ٢٣٦.
(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ١٥٥.
(٤) سورة فاطر، آية: ٢٨.
(٥) سورة العلق، الآيات: ١١–١٢.
(٦) ينظر: من بلاغة القرآن: ٣٩٤.
(٧) صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، رقم (٢٧٩٧).
(٨) سورة العلق، الآيات: ٩–١٠.
(٩) ينظر: معاني القرآن: ١٤٠/٢.

تعجيب ، وفعل (رأى) أي الرؤية تتطلب – الإبصار– ولا يصلح ذلك إلا نهاراً، وكانت الرؤية موضع الخطاب... والرؤية قد بلغت من الظهور والوضوح بحيث جعلت الناس جميعاً ترى إنكار وحقد أبي جهل للنبي (ﷺ) وهذا الاستفهام التعجيبي في ((أرأيت)) ينقسم على عنصرين. احدهما: رؤية علمية بمعنى علمت الذي ينهى عبدا... والمستفهم هو ذلك العلم أو الذي ينهى عبدا إذا صلى. والآخر: رؤية بصرية أي حكاية أمر قد وقع في الخارج والضميران المستتران في فعلي ﴿**كَانَ عَلَى الْهُدَى ۞ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى**﴾ لوقوعها موقع التكرير، لان فيها تكرير التعجب من أحوال عديدة لشخص واحد[١]. فقوله ﴿**أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى ۞ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى**﴾ فهمزة الاستفهام تدل على التصديق[٢]. والمخبر الله عز وجل رداً على أبي جهل الذي كناه الله عز وجل بـ ((الطاغية)) التي تدل على أن الإنسان يدعو الآخرين إلى عبادة غير ما أنزل الله تعالى، أو كُلُ ما تجاوز به العبد وحده من معبود أو متبوع أو مطاع[٣]. اخذاً من قوله تعالى ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴾[٤]. و (كلا) كلمة ردع وزجر من ارتكب ذلك الفعل القبيح.

نلاحظ الآية قد جرت بأسلوب الشرط الدال على القوة في الاخذ والتأثير المباشر في المتلقي، فقوله ﴿ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ١١ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ﴾ أي ثبوت الهدى له دون نفيه عنه، لأن الكلام عن النبي (ﷺ) يقرنه قوله تعالى ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾[٥].

فالله سبحانه يقول: يا كافر إن كانت صلاته هدى، ودعائه إلى الله – تعالى– أمر بالتقوى أتاه، واقتصر على ذكر الصلاة لان الأمر بالتقوى دعوة قولية، والصلاة دعوة فعلية، والفعل أقوى من القول، فكان داعياً وآمراً، والمقتدى اذا فعل فعلاً كان في قوة قوله افعلوا هذا[٦]. ودخول حرف

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٤٤٨/٣٠.

(٢)جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، احمد الهاشمي– دار إحياء التراث العربي (بيروت: د.ت): ٨٧.

(٣) ينظر: أصول الدين الإسلامي مع قواعده الأربع، محمد بن سلمان التميمي، رتبها الشيخ العلامة السلفي: محمد الطيب الأنصاري المدني، ط١ – مط– الجامعة الإسلامية (المدينة المنورة: ١٩٨): ٢٤.

(٤) سورة العلق، آية: ٦.

(٥) سورة العلق، آية: ١.

(٦) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني: ٥١٦/٣٠.

الخفض على لفظ (الهدى) أعطي للآية بنية عميقة إذ دل الحرف (على) على الاستعلاء والتمكين[١]، كما في قوله تعالى﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [٢]. فالأسلوب أفاد أن النبي (ﷺ) ليس فقط على الهدى وإنما استعلى وتمكن من الهدى على سبيل الاستعارة في التصوير.

وفي الآية أسلوب مدحي يصور لنا أن المتلقي مهتدٍ، والمهتدي لا يهتدي ثانية بل هو إرشاد وبيان أي مرشد ومبين لهم[٣]، فالنبي (ﷺ) يرشد الأغنياء أو من اشتغل بنفسه بقوله تعالى ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ﴾ [٤]،وان يختار الهدى والتقوى ليكون وقعهما ابلغ في نفس المتلقي وخيراً من متاع الدنيا أو الإشراك بالله – عز وجل–.وعلى الصعيد الآخر دل فعل – أمر– المشاركة في حرف الجر (الباء) في قوله (أو أمر بالتقوى) التي أفادت التعدية[٥]، فالسياق القرآني في هذه الآية الكريمة يحدد الإصلاح بمحورين، أحدهما: إصلاح نفسه. نفسه. والآخر: إصلاح غيره بالأمر بالتقوى[٦]، واقتران(أمر) بـ (التقوى) إضافة تشريف وتكريم للنبي (ﷺ).

ولا ننسى حرف العطف (أو) في قوله (أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰ) الذي أفاد الإباحة التي معناها جواز الجمع[٧]، فحرف العطف (أو) شكل لدى المتلقي منبها أسلوبيا بعلاقته المتواشجة بين (الهدى) و(التقوى). ويتساءل الرازي لمن الخطاب؟ فأجاب، فيه قولان، احدهما: انه خطاب للنبي (ﷺ) بقوله (أرأيت الذي ينهى عبدا* اذا صلى) إخبار بطغيان الإنسان المستغني أي ذو ثروة وسلطة..الذي

(١) ينظر: التحفة السنية بشرح المقدمة الاجرومية، محمد محيي الدين عبد الحميد – مط– العبور الحديثة– دار الطلائع (القاهرة: ٢٠٠٤): ١٢١.

(٢) سورة البقرة، آية: ٥.

(٣) ينظر: حاشية الصاوي على تفسير الجلالين (مذيلاً بلباب النقول في أسباب النزول للسيوطي):٢٦/١.

(٤) سورة الحشر، آية:٧.

(٥) ينظر: التحفة السنية بشرح المقدمة الاجرومية: ١٢١.

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد عبد السلام عبد الشافي محمد – ط٢– دار الكتب العلمية (بيروت: ٢٠٠٧): ١٩٥/٢

(٧) شرح الرضي على الكافية، رضي الدين الاستربادي، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، جامعة قار يونس (ليبيا: ١٩٧٨): ٣٩٨/٤.

ينهى عبد إذا صلى. والآخر : فقوله (أرأيت إن كذب وتولى) خطاب وتوبيخ على كسب حال الشقاء وفوات حال السعادة. إذ لو جعلنا الوسيط لغير النبي (ﷺ) لخرج الكلام عن النظم الحسن، أما على الصعيد الآخر فان الله عز وجل رد على الكافرين بانه يراهم ويشاهد ظلمهم، فقال أرأيت يا كافر أن كانت صلاته هدى ودعاؤه إلى الله – تعالى– آمراً بالتقوى[١]، لذا جاءت الموازنة الداخلية التي استندت إلى أسلوب الشرط ، فضلاً عن أسلوب الاستفهام ليكون اظهر لمعنى التعجب، لان الكلام من جانب الله – تعالى– والرؤية صادرة منه وكأن المعنى تعجب السامعين لهذا القول. أو التعجب من الله عز وجل مستحيل لأنه نقص في ذاته، أما فيغيره فوارد لحاجة الإنسان إلى بارئه.وذهب ابن عاشور: إلى أن جواب الشرط محذوف واتى بحرف الشرط الذي الغالب فيه عدم الجزم بوقوع فعل الشرط مجاراة الحال الذي ينهى عبدا[٢]، فالشرط ليس إلا لتوسع الدائرة وهو السر في تجريده عن الجواب والإحالة به على جواب الشرط بعده والخطاب في الكل لما يصلح له[٣]، فضلاً عن اختلاف العلماء على أقوال عديدة في الشرط والجزاء في هذه الآية الكريمة... والذي يعنينا من الشرط والجزاء أن السياق يقتضي التهديد والوعيد التي دلت عليه – أَمَرَ – لكل من ينهى عبدا إذا صلى، والفوز بالنعيم لكل من كان على الهدى أو أمر بالتقوى.

الخاتمة:

١– يدل الفعل –أَمَرَ– على أمر قاطع حتماً.

٢- قد جاءت– أمر–أيضاً في القرآن الكريم بوصف المنافقين الذين خرجوا عن دين الإسلام بالخلاف والكفر والفعل، كقوله تعالى ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ﴾ (سورة الأحزاب، آية: ٢٤) فضلاً عن تشويق النفس إلى بيان حال الذل لدى اليهود الذين يزعمون أنهم رسل البشرية وحملة الرسالة في قوله تعالى ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ (سورة الأحزاب، آية: ٢٦)

---

(١) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: ٢١/٣٢، وينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٥١٦/٣.

(٢) التحرير والتنوير: ٤٤٧/٣، التوازي التركيبي في القرآن الكريم، عبد الله خليف خضير عبيد الحيالي، رسالة ماجستير، إشراف د. هاني صبري علي آي يونس– كلية التربية (جامعة الموصل: ٢٠٠٤).: ١٠٥.

(٣) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٥١٥/٣٠.

٣- جاءت الآية الكريمة (أَمَرَ بصدقة) على وجه الحقيقة أولاً، أو تأتي الصدقة بمعنى النصيحة ثانياً، فالقرآن الكريم يصور لدى المتلقي أن (النجوى) تنطوي على مظهرين جليلين، أولاً: تكريم الله تعالى لهذه الجماعة المؤمنة التي تناجي بالمعروف والنهي عن المنكر، فأكرمها بالمثول بين يديه بالمحبة والأمن والسلام، أما المظهر الثاني فيوحي بالابتعاد عن محبة الله سبحانه ورحمته لأنهم يتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول.

٤- النفس الإنسانية تشتاق إلى الأشياء الحسية فتتمكن منها، فدلت- أَمَرَ- في الآية الكريمة على أن الكافر يجحد بالوحدانية أو النبوة أو الرسالة ، فانزل الله منبها للردع والزجر لمن يعبد غير الله تعالى لأنهم لا يعلمون حقيقة الدين.

٥- يأتي فعل – أَمَرَ- أيضاً للدلالة على القيم الأخلاقية التي تتجسد بالعدل والإخلاص، فضلاً عن صلته بالصلاة، التي تلهمه النقاء والطهر والتقرب من الله تعالى في الدنيا والآخرة.

٦- دلالة – أَمَرَ- تضفي صيغة مؤثرة لدى المتلقي ظهرت في قوله ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ أي يخافون الله (ﷻ) ويعظمونه.

٧- السياق القرآني يقتضي الوعيد والتهديد – اللذين دل عليهما الفعل – أَمَرَ- لكل من ينهى عبداً إذا صلى، والفوز بالنعيم لكل من على الهدى أو أمر بالتقوى.

The verb "Amara" in the Glorious Qura'n
A Semantic study

Lect.Karam Waleed Abd Saleh

Abstract

The paper deals with the meaning of the verb "Amara" in Glorious Qur'an which has many meanings related to our thought and psychological life of enjoining the right and forbidding evil actions. It stimulates the feeling and waken in the receiver to discover the religious and ethical values respectively.